كيف ساعدتني عمرة إلى مكة على تقبل هويتي الكويرية المسلمة

هشام صديق

مُسْلِم

كيف ساعدتني عمرة إلى مكة على تقبل هويتي الكويرية المسلمة

كتابة/ هشام صديق

ترجمة/ إبراهيم محمد

النص الأصلي من موقع them. والموقع لا يتحمل مسئولية هذه الترجمة.

في ديســمبر / كانون الأول من عام 2016، فاجأني والداي بفرصــة نادرة، كانت عائلتنا تعتزم القيام برحلة إلى مكة المكرمة لأداء العمرة، وهي رحلة روحية عميقة، تتضــمن زيارة أكثر مســاجد الإســلام قدســيةً والعديد من المواقع الدينية الهامة الأخرى لأداء الصلاة.

إن فرصــة الذهاب في رحلة كهذه عظيمة الأهمية، حيث أنها تتطلب اســتعدادًا دينيًا ولا ينبغي الاســتخفاف بها، يجب على المرء أن يكون في حالة ذهنية صــافية وأن يعقد نية الزيارة لأجمل الأغراض قبل الذهاب في هذه الرحلة، لهذا السبب احتجت للتوقف والتأمل في حالتي الدينية الحالية قبل الشروع في هذه الرحلة.

كبرت بينما لم يكن لدي أي أحد يمكن أن أتحدث معه عن الميول الجنسية بدون حكم أو خوف من التداعيات، لقد كان عليَّ أن أتفاهم مع ميولي الجنسية ببطء، سرًا وحدي، وقد كان من شأن عدم قدرتي على استشارة أحد الكبار أو الشيوخ بشأن هذه المسألة أن يزيد من شعوري بالوحدة ويتركني ضــائعًا فيما كنت أمر به، وما عزز مخاوفي هو أني كنت أعاني من هذا الأمر وحيدًا.

وكما هو الحال مع أي سِر، كلما حملته لوقت أطول، كلما صار أثقل، لقد تســبب العار الذي يحيط بالميول الجنســية المختلفة في زيادة الضــغط لتشكيل هوية في مرحلة المراهقة، ولأني لم أملك منفذًا صحيًا، وجدت أن الطريقة الوحيدة التي يمكنني بها التعامل مع المدرســة والأســرة بينما كنت أواجه صعوبةً في فهم نفسي كانت عن طريق التخدير، كنت أتجاهل مشاعري باستمرار وأكذب، ليس فقط على الآخرين، لكن على نفسي، هل ســبق لك النوم على ذراعك ثم اســتيقظت ووجدت أنه منفلت تمامًا؟ إنه مرتبط بك ومع ذلك غريب عنك، لا يمكنك تحريكه أو الشــعور به، هذا هو ما حدث لقلبي بعد ســنوات من التخدير، دفن الحقيقة باســتمرار من الآخرين ومن نفســي تركني فارغًا من الداخل، لقد ســلب من شــخصــيتي القدرة على فهم أو تقدير الأصالة.

الكفاح للتوافق

لم أكن أعتقد بوجود أي خطأ فادح في كوني كويريًا أو مسـلمًا، فقد كانا دائمًا أجزاءًا متأصـلةً بداخلي بقدر ما يمكنني التذكر، لكن المجتمعات الكويرية والمسلمة ذكّرتني باستمرار وبكل الطرق أنني لا يمكنني أن أنتمي إليها، كثيرًا ما التقيت برجال مثليين يسألونني لماذا أزعج نفسي بأن أكون مسلمًا، حيث أنهم افترضوا أنه دين قمعي لا يمكنه أن يخدمني بأي شكل من الأشكال، وعندما كنت أوضح أنه خيار شخصي يسير معي على ما يرام، كانوا يؤكدون لي أن الكويريين الذين يكرهون أنفسهم فقط هم الذين يمكن أن يكونوا جزءًا من أي دين معروف، وقد كان آخرون أكثر وضوحًا في تحيزهم، ورفضوا مصادقتي فقط على أساس عرقي أو ديني، وسرعان ما علمت أنه حتى في الأماكن التي كنت محاطًا فيها بأشخاص مثلي، كان القبول لا يزال مشروطًا.

كان القبول في المجتمع الإسلامي يمثل تحديًا كبيرًا، قبل عدة سنوات في إحدى الفعاليات للطلاب المسلمين، حضرت جلسة أسئلة وأجوبة حيث كان بإمكان الشباب أن يسألوا الأئمة أسئلة حول القضايا التي يواجهونها كشباب مسلم، سأل أحدهم: "**كيف أتعامل مع صديق لي وهو مسلم لكنه يعلن مثليته؟**"

سرعان ما عم الصمت أرجاء الغرفة، نادراً ما نوقشت المثلية في مثل هذه الأوضاع، ولذلك كنت متلهفًا لسماع إجابة الإمام، نظر إلى الأسفل تجاه يده للحظة، وفي النهاية تحدث.

بدأ بقوله "**إن المثلية، كالعديد من الأشياء الأخرى التي يعاني منها الإنسان، هي حافز غير طبيعي على المرء أن يتعلم السيطرة عليه.**" تجول بنظره في أنحاء الغرفة، "**تمامًا مثل الشرب والجنس قبل الزواج، على المرء أن يسيطر على رغباته، فكل إنسان تعتريه رغبات غريبة من وقت لآخر**"، وتابع، "**أحيانا يمكن أن أتوجه صوب نافذة مفتوحة وستراودني فكرة مجنونة تدعوني للقفز منها، وهذا لا معنى له، إنه ليس شيئًا عقلانيًا، لكننا جميعًا تراودنا أفكار مجنونة أحيانًا وعلينا فقط أن**

نتعلم السيطرة عليها، أما بالنسبة لصديقك، كنت سأتجنب الصلاة خلفه، فليس جيدًا أن تصلي مع شخص في مثل هذه الحالة".

كنت جالسًا هناك، مُدرك تمامًا ويملؤني الذل، كنت أعلم أنه كان يحاول أن يربط المثلية بشيء يفهمه جمهوره على المستوى الشخصي للإجابة على السؤال، لكن انتهى به الأمر إلى شيء مرعب مثل الانتحار، المفارقة المحزنة هي أن محاولات الانتحار أعلى بأربعة أضعاف بالنسبة للشباب المثلي ومزدوج الميول، بل إنها أعلى من ذلك بالنسبة للشباب العابر، غادرت الجلسة مع شعوري بالنبذ الشديد، لقد كان من المثير للأعصاب أن أكون محاطًا بأشخاص يتعلمون أن إيماني ليس صالحًا بما يكفي.

بمرور الوقت، سئمت من افتراض الناس بأنني أقل من مسلم، فقرروا بالنيابة عني أن جزءًا من هويتي يجب أن ينفي الآخر تلقائيًا، وجدت نفسي عالقًا في مفترق طرق، يمكنني أن أقمع ميولي الجنسية لأشعر بالقبول لدى المسلمين أو يمكنني أن أقمع إيماني لأشعر بالترحيب في مجتمع الميم، يتطلب كلا الخيارين إنكار جزء جوهري مني، ولم يكن أي من الخيارين يمثل حقيقتي.

الوصول إلى مكة

بالنسبة لأي مسلم، فإن فرصة الذهاب إلى العمرة هي فرصة العمر، ومع ذلك، وجدت نفسي قلقًا بشأن الذهاب في هذه الرحلة، ماذا لو لم أشعر بأي شيء عندما أصل إلى هناك؟ ماذا لو قطعت الطريق إلى الجانب الآخر من العالم، فقط لأشعر بالفراغ، أن لا أشعر بأي اتصال في هذا المكان المقدس؟ ماذا لو كانت كل الشكوك التي غرسها الناس بداخلي صحيحة، بأن المرء لا يمكنه أن يكون مسلمًا ومثليًا؟ هذه الأفكار روعتني، قبل يومين فقط على المغادرة، كان قلقي في أعلى مستوياته على الإطلاق، استقررت على أن أذهب حيث يشاء الله وأن أرى كيف سأشعر عندما أصل إلى هناك، لا ضغط ولا توقعات.

طرت إلى مكة بعد بضـعة أيام، قلبي مليء بالرعب لكن يملؤني الشـغف في الوقت نفسـه، على اسـتعداد لتجربة أي رحلة تنتظرني، لقد كبرت وأنا أسـتمع إلى عدد لا يحصـى من القصـص من الأصـدقاء والعائلة الذين ذهبوا في هذه الرحلة بالتحديد، وكيف كانت تجربة إيمانية رائعة بالنسـبة لهم، وكنت أشـعر بالفضـول لرؤية كيف سـيكون الأمر معي، أتذكر أني سمعت عن طعم ماء زمزم العذب عندما تشربه من النافورة، وعن روعة البلاط الرخامي الأبيض التي تشعر بها أقدامك العارية عندما تمشي حول فناء المسجد الحرام وبجانبك آلاف المصلين.

المرة الأولى التي رأيت فيها الكعبة كانت خيالية، كان المبنى في غاية البسـاطة في تكوينه، ومع ذلك فقد كان حضـوره عظيمًا بشـكل لا يصـدَّق، كان طويلاً ومكعبًا، ملفوفًا بقطعة قماش سـوداء جدًا وآيات قرآنية مثبتة على طول القمة، واقفًا، مفعمًا بالضـوء الأبيض، في وسـط ساحة فناء متعددة الطوابق، مليئة بالآلاف من الناس في مراحل مختلفة من الصـلاة، تحيط المبنى حلقة من عدة مئات من الناس، تدور حول المبنى في اتجاه عقارب السـاعة، يطوفون، يسـيرون في مجموعات، عائلات تتشابك أياديهم، بينما يرددون الأدعية، أولئك الذين كانوا في الجزء الأقرب من الدائرة كانوا يتوقون إلى الاقتراب قدر الإمكان من الكعبة، تتدفق الدموع من أعينهم، يمدون أياديهم للمس المسـجد المقدس، المكان الذي كانوا يوجهون نحوه الصلاة طوال حياتهم، راقبتهم باهتمام، أتساءل إذا ما كانت ستنتابني أي من هذه المشاعر القوية هنا.

مضت الأيام القليلة الأولى غير واضحة المعالم، انشغلت بأداء الطقوس المختلفة مع أسـرتي، كنا ننتقل من موقع تاريخي إلى آخر، حيث علمنا أين صلّت شخصيات دينية عديدة أو قامت بأفعال هامة، أحد الأمور التي برزت في ذهني بينما أمشـي هو أن كل شـخص يقوم بأداء العمرة كان عليه أن يرتدي نفس الزي، قطعتان من القماش الأبيض غير المهذبتين للرجال، وعباءة واحدة وحجاب للنساء، كان هناك شيء جميل جدا في رؤية الناس من جميع أنحاء العالم ومختلف مشـارب الحياة، كلهم يرتدون نفس الملابس العادية، لقد ذكرني ذلك بما كنت أتعلمه بينما أكبر: "**كلنا عند الله سواسية**".

الوصول للتفاهم

في لليلتنا الأخيرة هناك، وجدت نفســي بمفردي وقررت أن أخرج للتجول، حيث كنت بحاجة إلى بعض الوقت للتأمل أخيرًا، تســللت من غرفة الفندق إلى فناء المسجد الحرام، قبل شروق الشمس بقليل، كان الحشد متناثرًا نسـبيًا مقارنةً بحشـود المعتمرين التي كانت تدور حول الكعبة خلال النهار عادةً، وجدت نفسـي لأول مرة في تلك الرحلة قادرًا على السـير إلى الكعبة نفســها، بيت الله الذي كنت أتوجه إليه من أجل الصــلاة كل يوم منذ أن كنت طفلاً، وضعت يداي على الطوب الأسود المكشوف ووضعت جبهتي على الحائط، مغلقًا عيناي ومسـتمتعًا برائحته الحلوة، وفجأة، وعلى الرغم من وجودي هناك بالفعل لعدة أيام، فإن خطورة الموقف بأكملها قد أخذتني في النهاية، ضغطت عيني وأغلقتها أكثر وأحسست باتزان العالم، لقد كانت هذه أكثر لحظة حميمية لي مع الله.

بدأت بالتأمل، كنت أعلم أني كنت مترددًا في المجيء إلى هنا، كانت الأشهر القليلة الماضــية عبارة عن لعبة دوارة كانت تختبر إيماني، لذلك وضــعت كل أمتعتي جانبًا وتحدثت إلى الله بكل بســاطة، بالطريقة الفضــلى التي أعرفها، من خلال الحمد، وقفت هناك مدة كانت تبدو أبدية، أحمد الله على كل شــيء في الكون، رغم كفاحي مع الدين، ما زال بإمكاني أن أجد الكثير جدًا مما أحمد الله عليه، وبينما يغمرني الحمد، وجدت نفسي متأثرًا بشدة، ولكن كان هناك موضــوع واحد وجدت نفســي أتجنبه، وبينما كان بإمكاني أن أشـكر الله على كل الصـعوبات الأخرى التي تحملتها حتى أصـبحت ما أنا عليه اليوم، كنت أخاف أن أشــكره على ميولي الجنســية، ســنوات من الاختباء والتشوش لن تسمح لي بذلك.

وقفت هناك غاضـبًا مرتبكًا مع نفسـي، كيف تجرأت على الوصـول إلى هذا القرب من الله، فقط لأشعر أنه كان على أن أختبئ منه؟ لأشعر بالعار أمام الإله الذي عرفني حتى قبل أن أعرف نفسي؟ إن كانت هويتي الكويرية شيء قد وُلدت به، شيء هو أعطاني إياه لقصد تمامًا مثل كل شيء آخر شكرته عليه للتو، فماذا تبقى لأخفيه؟

في تلك اللحظة، اتضح لي أن ميولي الجنسية ليست شيئًا أخجل منه، وبين كل الأشياء، فإن الشعور بالخجل من ذلك كان سيئًا لإيماني، حيث جعلني أشعر أنني لم أكن ممتنًا لله، لقد كانت ميولي المختلفة هي العامل المساعد الذي حفزني على التفكير في قيمة الإيمان في حياتي، ولو لم أكن قد وُلدت بميول مختلفة، لما كنت سأقف في نفس المكان بنفس المستوى من التقدير، هذه اللحظة الجميلة من العلاقة الحميمة التي عايشتها مع الله، هذه العلاقة العميقة مع إيماني، لم تعقها ميولي الجنسية، بل تكثفت بسببها، لقد جعلتني ميولي المختلفة مسلمًا أقوى.

تراجعت من الكعبة وجلست على سجادة في الفناء، أتحسس الدقائق القليلة الأخيرة من الليل، بدأت السماء المظلمة المليئة بالنجوم تكتسي باللون الوردي ببطء مع حلول وقت الفجر، وفي مكان ما، بدأ المؤذن بالدعوة إلى صلاة الصبح من خلال مكبرات الصوت، صوته يبعث الصدى في جميع أنحاء الفناء الصامت، وقفت مع جميع المصلين الآخرين في مواجهة الكعبة، في صفوف كتفًا إلى كتف، كل شخص هناك برحلته الشخصية، حاملاً معه قصصه وكفاحاته.

أنهى المؤذن الإقامة.

طويت يداي على صدري، وبدأنا الصلاة.

هشام صديق، هو كاتب ومصور يقيم في لوس أنجلوس، عُرضت أعماله في Teen Vogue وThe New Yorker ومجلة Glamour وMic ومتحفMori Art وغيرهم.

مُسْلِم

"كيف تجرأت على الوصول إلى هذا القرب من الله،
فقط لأشعر أنه كان علي أن أختبئ منه؟"

هشام صديق